رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير | جزء الذاريات

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 2- سورة الحديد | من الأية 4 إلى 6

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد. سم بالله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش - 00:00:02

يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور - 00:00:30

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور هذه الايات الكريمة من سورة الحديد جاءت بعد الايات الثلاث الاولى في هذه السورة يقول الله جل وعلا - 00:00:56

هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم. والله بما تعملون بصير - 00:01:27

يقول تعالى هو الذي خلق السماوات والارظ هذه المخلوقات العظام الله جل وعلا خلقها والخالق اعظم جل وعلا فاذا رأينا عظمة المخلوق عرفنا ان خالقه اعظم واجل جل وعلا قال في ستة ايام - 00:02:03

هو جل وعلا قادر على ان يقول لما اراده كن فيكون وهو قادر على خلقها في لحظة في امره سبحانه وتعالى فتوجد كما اراد الله سبحانه وتعالى ولكنه جل وعلا اخبر عباده - 00:02:39

بانه خلقها في ستة ايام ليعلم عباده على التأني والاتقان وعدم الاستعجال في الامور وهذه الايام على قول الجمهور انها ستة ايام من ايام الدنيا اولها يوم الاحد ونهايتها الجمعة - 00:03:09

ثم استوى على العرش استوى على العرش استوى بمعنى على وارتفع جل وعلا والعرش هو سقف المخلوقات هو اعلى المخلوقات والله جل وعلا فوق العرش وهو في غنى عن العرش - 00:03:51

وغيره من المخلوقات وليس في حاجة الى العرش ولا الى الكرسي ولا الى غيرهما من مخلوقاته فهو الغني الغنى المطلق عن جميع خلقه والخلق مفتقرون اليه ثم استوى على العرش - 00:04:27

اهل السنة والجماعة فهموا من هذا العلو المطلق لله جل وعلا العلو من جميع الوجوه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات فالعرش اعظم المخلوقات كما ورد في الحديث ان السماوات السبع - 00:04:57

لو القيت في الكرسي لكانت كسبعة دراهم القيت في ترس. يعني صحن كبير الكرسي عظمته بالنسبة للسماوات تكون السماوات بالنسبة له كسبعة دراهم القيت في صحن كبير والكرسي بالنسبة للعرش - 00:05:31

كقطعة من حديد القيت في فلاة من الارظ قطعة من حديد القيت في فلاة من الارض هذه الاجرام العظام نسبة بعضها الى بعض كهذا والله جل وعلا فوق العرش كائن من خلقه - 00:06:03

غني عن العرش وغيره الله جل وعلا له العلو المطلق علو القدر وقدره عظيم في الصدور والقلوب وعلو القهر في انه قاهر لجميع خلقه وعلو الذات فهو في العلو سبحانه وتعالى - 00:06:34

وعلو الله جل وعلا ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والعقول والفطر فطر الله جل وعلا الخلق عربهم وعجمهم على ان ربهم جل وعلا

فوق حتى البهائم كما قال بعض العلماء رحمهم الله - 00:07:09
قال انه يلاحظ ان البهيمة اذا حزبها الطلق واشتد عليها الكرب رفعت رأسها فوق تستغيث بالله جل وعلا وهذا ثابت في القرآن سليمان عليه السلام لما خرج يستسقي رأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء تقول اللهم انا خلق من خلقك - 00:07:44
فلا تمنع عنا فضلك وقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم لان الله جل وعلا اعطى سليمان فهم كلام الحيوانات والطير والله جل وعلا قال في كتابه العزيز - 00:08:27
الرحمن على العرش استوى في سبعة مواطن من كتابه في سور متعددة سبع سور فاثبات العلو لله جل وعلا في الكتاب كما في هذه الايات العظيمة الرحمن على العرش استوى - 00:08:53
في سورة الاعراف وفي سورة يونس وفي سورة الرعد وفي سورة طه وفي سورة الفرقان وفي سورة الف لام ميم السجدة وفي هذه السورة العظيمة التي معنا سورة الحديد مع هذه الادلة والبراهين - 00:09:18
يأتي من الفئات الضالة من تنكر علو الله جل وعلا ويقول قائلهم قبحه الله قولك سبحان ربي الاسفل مثل قولك سبحان ربي الاعلى شعار الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - 00:09:48
العرش هو سقف المخلوقات ليس فوقه شيء من المخلوقات والله جل وعلا فوق العرش ومع علوه المطلق فهو يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل لا تخفى عليه خافية - 00:10:21
من اعمال عباده ظهرت او خفيت اسرها او اعلنها السر والاعلان عنده سواء ومعنى قولنا له العلو والمطلق علو القهر علو القدر وعلو القهر وعلو الذات هذه انواع العلو المخلوق - 00:10:58
قد يكون له واحد من هذه قد يكون له علو القدر القلوب تعظمه العالم الرباني تحبه القلوب ويعلفه الناس لكن هو مساو لهم معهم علو قدره في القلوب والنفوس والصدور تعزه وتجله لكن - 00:11:31
ليس له ميزة على الناس لا قهر له لا يقهر الناس وليس فوقهم الوالي المتسلط قد يكون له علو القهر طاهر للناس لكن القلوب لا تحبه ولا تجله ويتمنون الخلاص منه - 00:12:04
وليس له علوا الذات هو مع الناس لكنه له علو القهر متسلط والله جل وعلا له علو القدر في النفوس والقلوب وله علو القهر وهو انه قاهر لجميع خلقه وله علو الذات في انه في العلو - 00:12:34
فوق العرش يعلم ما يلج في الارض يكون المخلوق عالي لكنه بعيد عن مستوى الناس تخفى عليه امورهم حتى يبلغ عنها والله جل وعلا يعلم ما يلج في الارض من يدخل فيها - 00:13:06
من قطرات المطر ومن البدور ومن النبات ومن الاموات كل ما دخل في باطن الارض فالله جل وعلا يعلمه ويعلم ما يخرج منها مما ينبت على سطحها ومما يستخرج من جوفها من معادن وغيرها - 00:13:41
يعلم ذلك سبحانه وتعالى يعلم صغيره وكبيره وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم جل وعلا ما ينزل من السماء من الملائكة ومن القطر المطر ومن الرحمة ومن الارزاق - 00:14:18
ومن التدبير الذي دبره جل وعلا وما يعرج فيها يصعد اليها من الملائكة ومن الاعمال الصالحة اليه اصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وما يصعد اليه جل وعلا من الدعوات - 00:14:49
وخاصة دعوة المظلوم تفتح لها ابواب السماء ويقول الله جل وعلا وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين فما ينزل من السماء معلوم وما يصعد اليها معلوم وما يدخل في الارض معلوم وما يخرج منها معلوم - 00:15:17
والله جل وعلا احاط بكل شيء علما وهو معكم اينما كنتم وهو معكم هو مستو على عرشه وهو يقول وهو معكم نعم ومعكم قد يقول قائل كيف نفهم معية الله جل وعلا وهو مستو على عرشه - 00:15:47
والعرش سقف المخلوقات وبين السماء الارظ والسماء الدنيا مسيرة خمس مئة عام وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكسف كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي بحر ما بين اسفله وعلاه كما بين السماء والارض - 00:16:29

كيف يكون معنا نقول نعم القمر مخلوق من مخلوقات الله وهو من اصغر مخلوقات الله العظام وهو معنا هنا ومع الاقطار الكثيرة مع المسافر ومع المقيم ومع اصحاب من في مكة ومن في المدينة ومن كذا ومن كذا - 00:17:01
ومعهم كلهم يشاهدونه فوقه وهو مخلوق صغير من مخلوقات الله بالنسبة افلاك العظام والمعية نوعان معية احاطة عامة شمول ومعية خاصة معية خاصة مع المتقين مع المحسنين مع النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الغار - 00:17:32
هذه معية خاصة وورد لكل من المعيتين ايات كثيرة من القرآن ومن ذلك المعية العامة قوله جل وعلا كما في هذه السورة وهو معكم اينما كنتم مع الخلق اينما كانوا - 00:18:20
وقوله جل وعلا وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرظى من القول وكقوله تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا. هذه معية عامة مع البر والفاجر - 00:18:53
مع المؤمن والكافر لانه مطلع عليهم ومحيط بهم ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم واصواتهم وسرهم وعلانيتهم ومعية خاصة معية حفظ الرحمة ورأفة وكلأه يكلأهم يحفظهم كقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا - 00:19:20
والذين هم محسنون وكقوله تعالى وان الله لمع المحسنين وكقوله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحزن ان الله معنا وكقوله جل وعلا لموسى وهارون لما ارسلهما الى فرعون اللعين قال انني - 00:20:10
معكما اسمع وارى وكما دل عليه الحديث الصحيح حينما سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام والايمان والاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه - 00:20:47
يراك مطلع عليك وهو معكم اينما كنتم في البر او البحر في جوف البحر ظاهرين تحت طبقات الثرى هو جل وعلا مع العباد عموما بالاحاطة والشمول والهيمنة ومع المتقين الكلأة والحفظ والعناية - 00:21:20
والمدافعة يدافع عنهم انني معكما اسمع وارى لا تخافا من فرعون وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير باي عمل تعملونه مطلع يراه وفي هذه تشويق للعمل الصالح وتخويف - 00:22:08
من العمل السيء فيها حث للمؤمنين وفيها وعيد للكافرين وهذا من ميزة القرآن العظيم ان يكون فيها التخويف والرجاء يكون فيه البشارة والنذارة في اية واحدة يكون فيه التبشير والتخويف - 00:22:50
والله بما تعملون بصير فالمؤمن يفرح بهذا ويسر ان الله جل وعلا مطلع على عمله يحسن سرا فيما بينه وبين ربه وهو مطمئن واثق بانه سيجد ثواب ذلك عند الله. لان الله - 00:23:28
مطلع ووعيد للكافر والفاجر بانك مهما اخفيت ما تخفي من عملك السيء الله جل وعلا مطلع عليك ويحاسبك على ما فعلت اذا ما خلوت الدواء هو يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب - 00:23:52
الله جل وعلا مطلع على اعمال عباده والله بما تعملون بصير. اي عمل خفي او دقة او اختفى عن الناس من خير وترجو ثوابه او من شر فتخاف عقابه لان الله مطلع - 00:24:30
يخبر تعالى عن خلقه السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم اخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهم وقد تقدم الكلام على هذه الاية واشباهها بما اغنى عن اعادته ها هنا - 00:25:03
يعلم ما يلج في الارض يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو - 00:25:25
ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها. وما تسقط من ورقة الا يعلمها اه ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين. لا - 00:25:44
فعليه خافية وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تعالى وما ينزل من السماء اي من الامطار والثلوج والبرد والاقدار - 00:26:04
والاحكام مع الملائكة الكرام وقد تقدم في سورة البقرة انه ما ينزل من قطرة من السماء الا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر

الله به حيث يشاء الله تعالى - 00:26:28
وقوله تعالى وما يعرج فيها اي من الملائكة والاعمال كما جاء في الصحيح يرفع اليه عمل الليل قبل النهار. وعمل النهار قبل الليل يرفع العمل الصالح الى الله جل وعلا - 00:26:48
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهو معكم اينما كنتم. والله بما تعملون بصير رقيب عليكم شهيد على اعمالكم حيث كنتم واين كنتم من بر او بحر؟ في ليل او نهار في البيوت او في القفر - 00:27:10
جميع علمه على السواء وتحت بصره وسمعه سيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه. الا حين يستغشون ثيابهم. يعلم ما يسرون وما - 00:27:37
يعلنون انه عليم بذات الصدور. مهما اختفوا وحان ظهره ورقبته واخفى ما يتكلم به واستغشوا ثيابهم يعني ستروا انفسهم حتى لا يسمع كلامهم فهو جل وعلا يسمعه. ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفس - 00:28:00
صدور جل وعلا. ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور هذه الاية هي الاية الخامسة له ملك السماوات والارض والاية الثانية من هذه السورة قوله له ملك السماوات والارض - 00:28:28
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير له ملك السماوات والارض جاءت في صدر الايتين. الاية الثانية والاية الخامسة. هل يكون هذا تكرار لا الاية الاولى تبين ملكه جل وعلا للسموات والارض في حال الحياة الدنيا - 00:29:03
له ملك السماوات والارض يحيي ويميت في الدنيا خلق السماوات والارض والى الله ترجع الامور. قال المفسرون هذه في الدار الاخرة ولا تكرار بلا فائدة وانما هو تأكيد والاولى اشعرت بثبوت ملكه جل وعلا في الدنيا والاية الاخرى - 00:29:32
ملكه جل وعلا في الدار الاخرة والى الله ترجع الامور يعني الرجوع اليه جل وعلا له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور قراءة الجمهور ترجى في كثير من ايات القرآن - 00:30:03
مبني للمجهول وقرأ بعض القراء والى الله ترجع الامور على البناء للفاعل وهنا على البناء للمفعول ترجع الامور البناء للمفعول يعني يقوم نائب المفعول به نيابة الفاعل وهنا ترجع الامور المبني للمعلوم - 00:30:28
ابريل الفاعل والى الله وهما قرأتان سبعيتان والى الله ترجع الامور نعم له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور اي هو المالك للدنيا والاخرة؟ كما قال تعالى وان لنا للاخرة والاولى - 00:31:00
وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة في الدنيا والاخرة. نعم. وقال تعالى الحمدلله الذي له ما في السماوات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير. سبحانه - 00:31:28
وجميع ما في السماوات والارض ملك له واهلها عبيد ارقاء اذلاء بين يديه. كما قال تعالى ان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدا. لقد احصاهم وعدهم عدا. وكلهم اتيه يوم القيامة فردا - 00:31:52
ولهذا قال والى الله ترجع الامور اي اليه المرجع يوم القيامة ويحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل ان يكن عمل صالح - 00:32:18
يضاعف الى عشرة امثالها ويؤتي ويؤتي من لدنه اجرا عظيما وكما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا. وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين - 00:32:38
وقال تعالى يولد الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي هو المتصور الليل في النهار ويولج النهار في الليل يدخل جل وعلا الليلة في النهار فيزيد النهار ويقصر الليل - 00:33:02
ويولج النهار في الليل. يدخل جزءا من النهار في الليل فيطول الليل ويقصر النهار وذلك لمصالح عباده ولحكمة يريدها الله جل وعلا فلو كان الليل والنهار في حالة استواء دائما وابدا - 00:33:29
تعطلت كثير من المصالح ومن النباتات فالله جل وعلا جعل هذا الاختلاف لحكمة احيانا يطول الليل ويقصر النهار واحيانا يطول النهار ويقصر الليل. واحيانا يستويان يستوي الليل والنهار بحكمة يريدها الله جل وعلا ولاجل - 00:33:57

مصالح العباد في معاشهم وزروعهم وحروثهم ومياههم وغير ذلك من الامور التي رتبها الله جل وعلا ولاظهار لقدرته سبحانه لظهور كمال القدرة. فاحيانا مثلا كما نرى مثلا صلاة المغرب تكون الساعة خمس وشيء - 00:34:33

بحسب التوقيت الزوالي واحيانا تكون الساعة سبع وشيء ويأخذ الليل من النهار ويأخذ النهار من الليل يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. وهو عليم بذات الصدور بما يكن المرء في نفسه - 00:35:05

لا يطلع عليه احد الا الله جل وعلا وهو يطلع على ما في الضمائر ويعلم ما فيها من خير او شر. وما وسوست وما فكرت فيه قبل ان تنطق وهو يعلم ما في قلوب عباده سبحانه قبل ان يتكلموا - 00:35:36

وهو عليم بذات بما في الصدور بما في القلوب كمال احاطته سبحانه فهو فعلمه محيط بكل شيء لا في الظاهر دون الباطن ولا في العلانية دون السر. وانما الكل عنده سواء - 00:36:06

يعلم السر واخفى. السر ما يسر به الانسان على لصاحبه واخفى من السر الذي في قلبه ما افصح لاحد من الناس يعلمه الله جل وعلا. يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور - 00:36:31

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من من حبل الوريد يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي اي اي هو اي هو المتصرف في الخلق - 00:36:56

يقلب الليل والنهار. ويقدرهما بحكمته كما يشاء ستارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما متعادلين وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا. ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه - 00:37:22

وهو عليم بذات الصدور يعلم السرائر وان دقت وان خفيت وفي هذه الايات وحث للعباد على اخلاص العمل لله جل وعلا لان العمل وان كان ظاهره الصلاح اذا لم يكن خالصا لوجه الله جل وعلا فالله لا يثيب عليه - 00:37:51

لان الله جل وعلا يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملا اشرك معي فيه في غيري تركته وشركه والله جل وعلا لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا صوابا - 00:38:25

خالصا لوجهه تعالى صوابا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد يكون العمل صواب على وفق السنة لكنه ليس خالصا لوجه الله وهذا عمل المراءين فلا ينفع وقد يكون العمل خالص لوجه الله. لكنه لم يكن صوابا على وفق السنة. وهذا عمل المبتدعة - 00:38:46

المبتدع وصاحب البدعة قد يعمل العمل لوجه الله لكنه على خلاف السنة فلا ينفعه فلابد من هذين الشرطين في كل عمل يعمله المرء لله تعالى ان يكون خالصا لوجهه وان يكون صوابا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:39:16

والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:39:43